

البلاطات الخزفية الايطالية بنماذج من عمائر مدينة قسنطينة خلال القرن 12هـ/18م

الأستاذة زهيرة حمدوش
أستاذة مساعدة- المركز الجامعي لتيبازة

شهدت مدينة قسنطينة خلال القرن الثاني عشر هجري/ الثامن عشر ميلادي انشاء العديد من العمائر الدينية والمدنية والعسكرية، اتمت بترائها المعماري والفني، والتي لا يزال عدد هام منها قائما الى يومنا هذا، يحافظ على أصالته المعمارية، ومظاهره الفنية والزخرفية، ولعل من أهم تلك المظاهر نذكر البلاطات الخزفية التي تكسوا جدران عدة عمائر ترجع الى القرن 12هـ/18م، على غرار جامع سوق الغزل، والجامع الأخضر، وجامع ومدرسة سيدي الكتاني، ودار بن جلول، وقد تنوعت هذه البلاطات الخزفية من حيث البلدان التي صنعت بها، فمنها التونسية، والاسبانية، والهولندية، والايطالية، وتضم هذه الأخيرة أروع النماذج التي نشاهدها بالعمائر السالفة الذكر، وهي النماذج التي سنتناولها في موضوعنا هذا، لتتعرف من خلالها على خصائصها الصناعية التقنية والفنية، وأهم التصاميم الزخرفية والعناصر المشكلة لها.

أولا/ البلاطات الخزفية اهميتها ومجالات استعمالها:

تعد البلاطات الخزفية من المواد التي استخدمت على نطاق واسع في الزخارف الجدارية بعمائر مدينة قسنطينة خلال الفترة العثمانية، فهي تضي على المبنى منظرا فنيا جماليا ترتاح له النفوس، وتقوي فيهم الإحساس والذوق الفني⁽¹⁾، ولها القدرة على حفظ الحرارة، حيث تخزن حرارة الشمس في الشتاء خلال النهار لتبثها ببطء أثناء الليل، و في الصيف تساعد على تبريد المساحة المتواجدة فيها والعكس. ومن ميزات البلاطات أنها سهلة التنظيف و عازل للرطوبة وواقى من الخدوش والصدمات، لما لها من خاصية تجعلها مقاومة للماء والرطوبة⁽²⁾.

¹ - الرباعي(احسان عرسان)، جداريات الجامع الأموي دراسة تحليلية، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط1، 2002، ص49. انظر أيضا: الرباعي(احسان عرسان)، « القاشاني في الجامع الأموي بدمشق بين العلم والفن »، مجلة جمعية الأثريين العرب، العدد الثالث، 2002/1433، ص4.

² - الرباعي(احسان عرسان)، جداريات الجامع الأموي، المرجع السابق، ص48. انظر أيضا: الرباعي(احسان عرسان)، القاشاني في الجامع الأموي، المرجع السابق، ص3.

تكسوا البلاطات بأشكالها المختلفة الجدران الداخلية من الأسفل الى غاية ارتفاع يتراوح بين 1.80م و2.10م، ماعاد السقائف التي تصل تكسيتهما الى عقود المقاعد، وهي تغطي الجدران، والمحاريب، وأطر الأبواب من أسفل الى أعلى، والنوافذ من الداخل والخارج وبواطنها، وواجهات العقود وكوشاتها وبطونها، وواجهات المآذن، وفي الصحن والأفنية والأرضيات، كما جاءت على شكل أفاريز او احزمة وحواشي تزين اجزاء مختلفة من الوحدات المعمارية، كما استخدمت على شكل لوحات تزخرف حدائق القصور وغيرها(3).

اما طريقة تنظيمها فتخضع لطبيعة التصاميم ومساحة الأماكن الزخرفية التي تزين عليها، بتنظيمها بطريقة التكرار المتبادل المختلف او التكرار المتشابه، على شكل تجميعات رباعية او تنظم على شكل لوحات فنية، يكثر او يقل عدد البلاطات حسب التصميم او المكان المراد تزيينه، وفي الغالب تحاط اللوحة باطار من البلاطات ذات اشكال مربعة او مستطيلة(4). كما تنوعت من حيث أساليبها الصناعية وطرق زخرفتها، ومن حيث قيمتها الفنية ومصادرها التي صنعت بها وجلبت منها، فمنها التونسية والاطالية، ونظرا لكم الهائل للبلاطات الخزفية بهذه المعالم ارتأينا أن نقتصر في بحثنا هذا على البلاطات الايطالية الصنع فقط.

ثانيا/ خصائص ومميزات البلاطات الخزفية الايطالية:

لقد كان للتبادلات التجارية التي ربطت الجزائر وايطاليا دورا فعالا في جلب البلاطات الخزفية، لاسيما مدينة قسنطينة باعتبارها بابك الشرق الجزائري، فقد كانت هذه الاخيرة تصدر كل من الحبوب والزيوت والمرجان والتمور وغيرها، في حين كانت ايطاليا تصدر لها الزجاج والمرايا ومواد البناء(5)، ومما لا شك فيه ان المربعات الخزفية كانت من تلك المواد.

ترجع صناعة البلاطات الخزفية بايطاليا الى القرن 10هـ/16م، وقد تنوعت مراكزها الصناعية اهمها: فاينزا، نابولي، صقليا، فلورنس وغيرها، وعلى الرغم من تعدد مراكزها الا انها تعمل وفق اسلوب صناعي فني واحد متأثرة بأساليب عصر النهضة، التي سادت فيها اقواس السهام وانصافها (قرون الرخا) والعناصر الحلزونية النباتية الملتقة بشكل لولبي .

³ - عبدالحافظ(عبدالله عطية)، دراسات في الفن التركي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 2007، ص37.

⁴ - لعرج واخرون، الزخرفة المعمارية في العهد العثماني، منشورات وزارة الثقافة، الجزائر، 2007، ص122. انظر ايضا:

Guillaume ; les art du feu, paris,1942,p 3.

⁵ -الزبييري(محمد العربي)، التجارة الخارجية للشرق الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1972،

وقد ظلت كذلك حتى اواخر القرن 18م، بما فيها نابولي التي تميزت بتقليد الصور الزيتية في زخارفها التي تساعد على التأريخ، لكن استبعاد هذا النوع من الانتاج الموجه الى العالم الاسلامي لكرهيته ادى بهذه المراكز الى انتاج مواد تلبى اذواق الزبائن⁽⁶⁾، ومن خصائصها العامة استخدام الالوان الاصفر والازرق، الاخضر، البرتقالي بتدرجاتها⁽⁷⁾.

وخضعت صقلية ومراكزها الصناعية لتقاليد فنية ورثتها عن حكم المسلمين لها، كما تاثرت بتيارين فنيين: الاول ايطالي قلدت فيه العناصر الزخرفية بتكسانيا وفينتو لدرجة التطابق، والثاني اسباني بعد وفود الصناع الاسبان الى الجزيرة وانشائهم مصانع لهم بها⁽⁸⁾، بالاضافة الى العلاقات التجارية التي ربطتها مع بلاد الاناضول ومصر، مما ادى الى تشبعها بالطرز الشرقية والتأثر بها⁽⁹⁾.

اما منطقة جينوة فقد اشتهرت بصناعة الخزافيات منذ القرن 16م، التي تميزت بزخارف الاريسك والأغصان ذات الأفرع الممتدة الكبيرة، والمتأثرة بتصاميم وألوان البندقية⁽¹⁰⁾.

ثالثا/ البلاطات الخزفية الايطالية بعمائر مدينة قسنطينة:

1/ البلاطات الخزفية بالجامع الأخضر:

يقع جامع سيدي لخضر أو الجامع الأخضر، بوسط المدينة بالقرب من رحبة الصوف، بني في عام(1156هـ/1743م) من طرف الباي حسن بوحنك(1736-1754م)⁽¹¹⁾.

تعتبر البلاطات الخزفية الايطالية في بيت الصلاة بالجامع الأخضر من أجمل نماذج هذا النوع من حيث العناصر الزخرفية ونوعية الألوان والاكاسيد، وهي لا تزال تحافظ برونقها وبريقها ولمعان ألوانها،

⁶ - BROUSSAUD.G, Les Carreaux de Faïence Peints dans l'Afrique du Nord, collection du centenaire, Alger, 1930, p9

⁷ - GUILLAUME , op-cit , p12

⁸ - BROUSSAUD.G, op-cit, P9

⁹ - عيساوي (زهرة)، مربعات الخزف في الفترة العثمانية بالجزائر، منشورات البرزخ، الجزائر، 2007، ص20..

¹⁰ - لعرج(عبد العزيز محمود)، الزليج في العمارة الإسلامية بالجزائر في العصر التركي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990، ص. انظر ايضا: P15, BROUSSAUD.G, op-cit,

¹¹ - CHERBONNEAU.A, «Inscriptions arabes de la province de Constantine», in : Annuaire de la société archéologique de la province de Constantine, 1856-1857, P102-105. انظر أيضا: (بورويبة

رشيد)، سلسلة الفن والثقافة، وزارة الإعلام والثقافة، الجزائر، 1978، ص159-161. معزوز (عبد الحق) و درياس (لخضر)، جامع الكتابات الأثرية العربية بالجزائر، الجزء الأول: كتابات الشرق الجزائري، منشورات المتحف الوطني للآثار القديمة، مطبعة سومر-ينر خادم، الجزائر، 2000، ص161-165. دحدوح (عبدالقادر)، المرجع السابق، ص288-

تتميز بأسلوب زخرفي وصناعي متماثل، ويمكن تقسيم المجموعة الموجودة في بيت الصلاة من حيث الشكل إلى نوعين: بلاطات مربعة الشكل، مقاساتها 13,5×13,5سم، وبلاطات مستطيلة مقاساتها 13,5×5سم، استخدمت كإطار للحشوات الجدارية.

أما بالنسبة للبلاطات المربعة، فهي تتشكل من ثلاثة تصاميم، تتكرر بطريقة تتبادل فيما بينها على ارتفاع يصل إلى 2,15 م وهي كالتالي:

التصميم الأول (الصورة رقم 1 الشكل رقم 1): تجميعا من أربع بلاطات قوام زخارفها دائرة مركزية، تبرز منها أوراق طولية ثلاثية، تتناوب مع أوراق الاكانتس، على شكل عفسة الصيد (قدم الأسد)، تنمو باتجاه منتصف أضلاع التجميعية تعلوها أنصاف دوائر مفصصة تكتمل بالبلاطات المجاورة، وباتجاه الأركان الخارجية للتجميعية تنمو سيقان متفرعة تنتهي بدائرتين تعلوها زهرة القرنفل، تبرز من الساق أفرع مورقة حلزونية على شكل قرون الرخا⁽¹²⁾.

ويرى الكثيرون أن هذا التصميم اسباني الأصل يعود إلى القرن 18م، غير أن بعضهم يرى عكس ذلك، وينسبه إلى ايطاليا، ويحدد مركزه الصناعي بمدينة صقلية، والتي كانت بها صناعة البلاطات مزدهرة خلال نفس الفترة، باعتبارها أهم المدن الإيطالية التي كانت تزود العالم الإسلامي ببلاطات تمتاز زخارفها بميولها إلى الطابع العربي الإسلامي⁽¹³⁾.

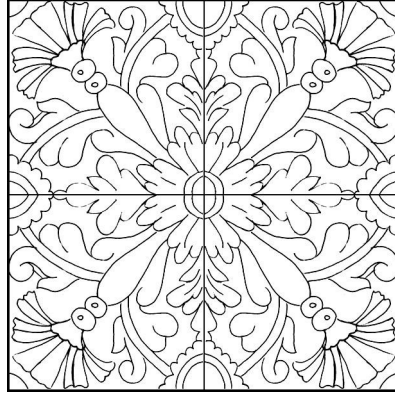
وفي الحقيقة أن كلا البلدين أنتجا بلاطات من هذا التصميم، والمرسومة بنفس الطريقة خلال نفس الحقبة الزمنية، لكن من خلال التعاملات التجارية التي ربطت ايطاليا ومدينة قسنطينة نرجح ان هذه المجموعة ترجع الى ايطاليا خاصة اذ ما قارنها مع النماذج الموجود بمدينة الجزائر.

وقد استخدم نفس التصميم في اغلب مباني مدينة قسنطينة ، حيث نجده في كل من المدرسة الكتانية بالجدران المحيطة بالمقبرة، ودار بن جلول استعملت في شكل أشرطة تعلوا الحوائط داخل الغرف، وفي العقدين اللذان يتوسطان الغرفة الجنوبية منها، واستخدمت أيضا بقصر احمد باي على نطاق واسع في تغطية الجدران الداخلية لعدة غرف ، وفي الحوائط المطلة على الحدائق، الا انها ترجع الى القرن 19م ألوانها في هذا الأخير أصبحت باهتة والأرضية البيضاء المزرققة تحولت إلى أرضية طباشيرية، وتحول اللون الأصفر المائل إلى البرتقالي إلى اللون الأحمر الطوبي، مما يدل على أنهما من صناعة فترتين مختلفتين تماما.

¹² - انظر ايضا: BROUSSAUD.G, op-cit, PL6 E.

¹³ - لعرج(عبد العزيز محمود)، المرجع السابق، ص146.

وبمدينة الجزائر توجد نماذج عديدة من المعالم التي تحتوي على هذا النوع من البلاطات الخزفية، ولا يكاد يخلو بيت من بيوت القصبة منها، وعلى سبيل المثال لا الحصر نذكر: ضريح سيدي عبد الرحمن، والجامع الكبير، وقصر مصطفى باشا(1798)، وقصر حسن باشا(1791)، ودار عزيزة، وقصر بارود، وضريح سيدي احمد بن يوسف وضريح الملكة وغيرها.

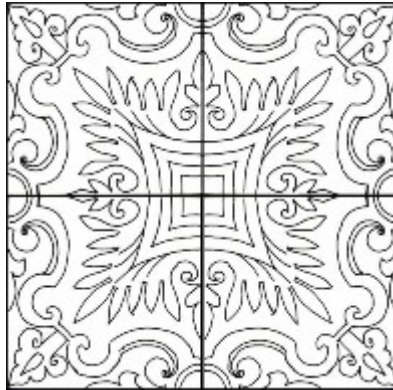


الشكل رقم 1



الصورة رقم 1

التصميم الثاني: يتألف من مربع مركزي متداخل، تشع من أركانه أوراق الاقنثة شديدة التحوير، وبمنتصف أضلاعه أوراق ثلاثية صغيرة، يحيط التصميم المركزي مربع اكبر، أضلاعه من عناصر حلزونية على هيئة حرف الألف المقصورة (س) تلتقي بالأركان الخارجية للبلاطة، تتوسطها ورقة من نفس النوع الأول لكنها نفذت بأسلوب هندسي افقدها شكلها، وبمنتصف أضلاع التجميعية أنصاف دوائر على جانبيها أنصاف أوراق ثلاثية كاسية تكتمل بالبلاطات المجاورة(الصورة رقم 2، الشكل رقم 2) (14).



الشكل رقم 2

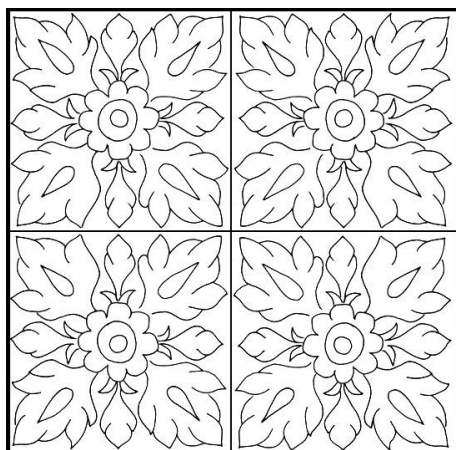


الصورة رقم 2

ويكرر هذا النوع في كل من المقبرة بالمدرسة الكتانية، كما نجده بعناصر مختلفة بمدينة الجزائر كدار عزيزة، ودار خداج العمياء وقصر البارود ومعظم مساكن العامة التي ترجع إلى الفترة العثمانية.

¹⁴ - انظر ايضا: BROUSSAUD.G, op-cit, PL6A

ويتضمن التصميم الثالث: بلاطة مفردة مقاساتها 13,5×13,5سم، قوام زخارفها دائرة مركزية متداخلة مفصصة على هيئة زهرة، تبرز منها باتجاه منتصف أضلاع البلاطة أوراق بسيطة تنمو منها براعم ورود، وباتجاه الأركان الخارجية تنمو أوراق الاكانتس شديدة التحوير تتوسطها عناصر رمحية(الصورة رقم 3، الشكل رقم 3) (15).



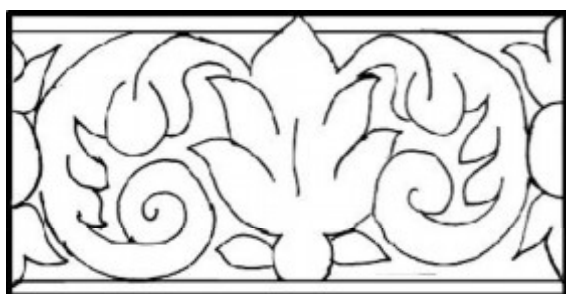
الشكل رقم 3



الصورة رقم 3

واستخدم نفس النموذج في تكسية حنية المحراب بالكامل، ويتكرر في المدرسة الكتانية، ويتطابق مع نماذج توجد بقصر خداج العمياء بالجزائر وضريح الملكة.

اما البلاطات المستطيلة فتضم بلاطتين: التصميم الأول (الصورة والشكل رقم 4): يتضمن حلية نباتية مركزية عبارة عن ورقة الاكانتس تعلو دائرة صغيرة تتفرع منها أوراق صغيرة بسيطة، وتبرز من ورقة الاكانتس أنصاف أوراق طولية مسننة ملتوية حلزونية الأطراف، وعلى جانبي البلاطة أنصاف دوائر صغيرة تشع من أعلاها وأسفلها أوراق كاسية ثلاثية تكتمل بالبلاطات المجاورة، والتصميم ككل يحده من جهتين إطاران مستقيمان باللون الأصفر.



الشكل رقم 4



الصورة رقم 4

¹⁵ - انظر ايضا: BROUSSAUD.G, op-cit, PL.6E.

التصميم الثاني (الصورة والشكل رقم 5): قوام زخارفه ورقة طولية مسننة ملتفة رسمت عبر ركني البلاطة تنمو من أنصاف دوائر تكتمل بالبلاطات المجاورة، وتبرز من أنصاف الدوائر أيضا براعم ورود تمتد منها عناصر حلزونية رفيعة، ويحد التصميم من جهتين إطار مستطيل مثل النموذج السابق.



الشكل رقم 5



الصورة رقم 5

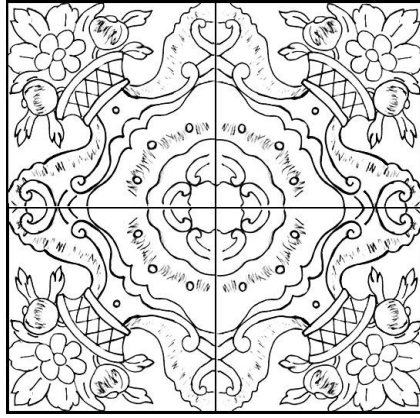
وتخضع جميع أمثلة هذا النوع الموجودة بالجامع إلى نفس الخصائص الصناعية، سواء من حيث العناصر الزخرفية، التي تقوم على العناصر النباتية المنقخة، وأوراق الاكانتس والعناصر الحلزونية، أو من حيث الألوان المستخدمة التي تميزت بتدرجها من الألوان الفاتحة إلى الداكنة واستخدام اللون البنفسجي لتحديد الزخارف، وهذا التماثل يدل على أنها من ورشة صناعية واحدة.

2/ البلاطات الخزفية بجامع سيدي الكتاني:

يقع جامع سيدي الكتاني بسوق العصر، كان بناؤه في سنة (1190هـ/1776م) على يد صالح باي (1185-1207هـ/1771-1792م)⁽¹⁶⁾.

تتخصر بالجامع في نموذج واحد استخدم في تكسية حنية المحراب، اما البقية فهي ترجع للعهد الاستعماري، وهي عبارة عن بلاطة مربعة الشكل مقاساتها 20×20سم، تتكرر لتشكّل زخرفة دائرية مركزية تحيطها عناصر مقوسة تشبه اقواس السهام داخل دائرة اخرى غير منتظمة على هيئة مربعين، يبرز من اضلاع المربع الخارجي باتجاه الاركاب سلال ملئت باوراق وزهرة مفصصة بسيطة وثمار (الصورة 6 والشكل رقم 6). استخدم في تلوينها تشكيلة من الأزرق بتدرجاته، وتحول اللون الأصفر إلى البرتقالي الداكن، والأخضر المزرق، وحددت العناصر الزخرفية بالبنفسجي على أرضية بيضاء مزرقّة.

¹⁶ - بورويبة (رشيد)، المرجع السابق، ص 179-180. انظر أيضا: معزوز (عبد الحق) و درياس (لخضر)، المرجع السابق، ص 179-180. دحدوح (عبدالقادر)، مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني دراسة عمرانية اثرية، رسالة لنيل شهادة الدكتوراة في الاثار الاسلامية، معهد الاثار، جامعة الجزائر، 2009-2010، ص 299-300. A. CHERBONNEAU, Inscriptions arabes, op-cit, P110-111.



الشكل رقم 6



الصورة رقم 6

3/ البلاطات الخزفية بالمدرسة الكتانية:

تقع هذه المدرسة بجوار جامع سيدي الكتاني، يرجع بناؤها الى سنة (1189هـ/1775م)، وهي الأخرى من بناء صالح باي⁽¹⁷⁾.

اما بالمدرسة الكتانية فتخلو قاعة الدرس والصلاة من أي بلاطات ايطالية على عكس المقبرة التي كسيت جدرانها الثلاثة بحشوات حائطية متنوعة، على ارتفاع يقدر بـ 1,90م، تتنوع من حيث الأسلوب الصناعي والعناصر الزخرفية والفنية، وقد سبق وان تناولناها بكل من الجامع الأخضر ومحراب جامع سيدي الكتاني، ويتعلق الأمر بالبلاطات التي تزين محراب جامع سيدي الكتاني، وبلاطات التصميم الثاني والثالث التي نجدها بالجامع الأخضر (الصورة رقم 2، 3، 6، الشكل رقم: 2، 3، 6).

4/ البلاطات الخزفية الإيطالية بدار بن جلول:

تقع دار بن جلول بالقرب من جامع سيدي الكتاني، وهي من بناء صالح باي (1185-1207هـ/1771-1792م)، وقد كان بناؤها مزمانا لبناء جامع ومدرسة سيدي الكتاني⁽¹⁸⁾.

تعتبر بلاطات دار بن جلول من أروع النماذج الإيطالية، على درجة كبيرة من الجمال والرقعة من حيث الألوان والزخارف المتأثرة بأسلوب الباروك والركوكو، اللذان يعتمدان على الضفائر واللفائف الورقية وورقة الاكانتس والأزهار الكاسية والأقحوان التي رسمت بوضعيات مختلفة طبيعية ومحورة بالإضافة إلى استخدام الاربسك في زخارفها من فروع ملتوية تتخللها الأشربة المخططة، أو تتداخل

¹⁷ - CHERBONNEAU.A, Inscriptions arabes, op-cit, P108-110. انظر أيضا: دحوح (عبدالقادر)، المرجع

السابق، ص322. معزوز (عبد الحق) و درياس (لخضر)، المرجع السابق، ص176-178.

¹⁸ - شغيب (محمد المهدي بن علي)، أم الحواضر في الماضي والحاضر، مطبعة البعث، قسنطينة-الجزائر، 1980، ص 376-378.

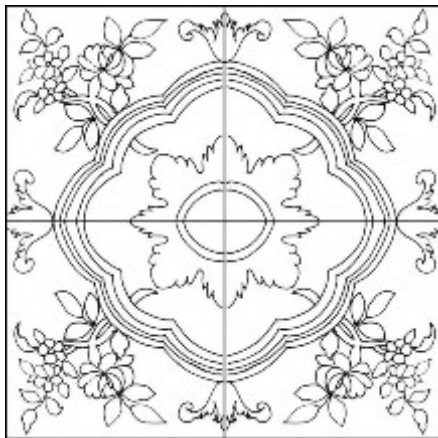
العناصر النباتية مع الهندسية ، وهي ذات مقاسات كبيرة، تقدر بـ 20×20 سم، أو 21×21 سم، ذات سمك يقدر بـ 2 سم وهي:

التصميم الأول (الصورة رقم 7): قوام زخارفه أغصان نباتية مرسومة بطريقة متعرجة وملتوية، تلتف حول خطوط مزدوجة ممتدة بطريقة مستقيمة، تنفرع من الأغصان النباتية مجموعة من البراعم والسيقان المورقة بأوراق مسننة، والبراعم المزهرة، والأزهار البسيطة الصغيرة الخماسية والسداسية.



الصورة رقم 7

التصميم الثاني (الصورة رقم 8، الشكل رقم 7): يتبادل مع بلاطات التصميم السابق، وهو في شكل تجميعية تقوم على حلية مركزية مستديرة مركبة تشع منها أوراق الاكانتس، يحيط التصميم بالكامل دائرة مركبة مفصصة، يبرز من أضلاعها باتجاه الأركان باقة من الازهار ووردة ، وبمنتصف أضلاع التجميعية دائرة صغيرة تقوم عليها أوراق الاكنثة.



الشكل رقم 7



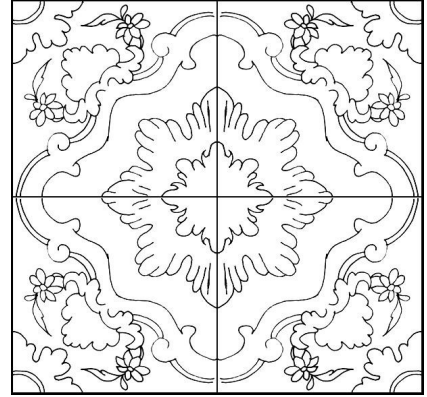
الصورة رقم 8

وتوجد تجميعتان بها عناصر زخرفية متماثلة في ألوانها وأسلوب رسمها مع الأمثلة السابقة، استخدمت كأطر وحشوات جدارية في الغرف، وبواطن النوافذ، والخزائن الجدارية بالطابق الأول.

التصميم الأول (الصورة 9، الشكل 8): يقوم على العنصر المركزي الدائري الذي تشع منه الأوراق الاكنثة المركبة، يحيطها مربع غير منتظم قائم على رؤوسه، أضلاعه مشكلة من انصاف أقواس السهام متقابلة ، تبرز من نقطة التقائها أنصاف أوراق ملتفة تتوسطها زهيرة سداسية، ويتكرر ربع العنصر المركزي بالأركان الخارجية.



الصورة رقم 9



الشكل رقم 8

التصميم الثاني: قوامه دائرة مركزية محاطة بأوراق الاكانتس الملتفة التي رسمت بشكل طولي، يحيط التصميم بالكامل دائرة كبيرة مركبة، ملئت استدارتها بصفيرة باللون البني على أرضية خضراء، وبالأركان الخارجية أنصاف مربع صغير، تتوسطه أنصاف زهرة ذات فصوص طولية، (الصورة 10).



الصورة رقم 10

ويشير بروسو إلى تواجد هذا التصميم بقصر احمد بايوانه من صناعة ايطالية⁽¹⁹⁾ الا أننا وللأسف الشديد لم نعثر عليه أثناء الدراسة الميدانية. كما أننا لم نصادف أثناء دراستنا الميدانية بمدينة قسنطينة مثل هذه البلاطات في غير هذا المعلم سواء من حيث التصميم أو دقة تنفيذها وجمال ولمعان ألوانها البراقة والتي على الرغم من السنين ما تزال تحتفظ برونقها وبهائها.

¹⁹ -انظر ايضا: BROUSSAUD.G, op-cit, PL.29F

وقد رسمت العناصر الزخرفية للبلاطات السابقة بنفس التشكيلة اللونية، حيث حددت زخارفها باللون البني، ورسمت بالأصفر والأزرق والأخضر والبرتقالي والبني ولمسات من البنفسجي على أرضية ناصعة البياض. وهناك مجموعة أخرى تقوم على عنصر اللوائف المفتولة والأشرطة المنكسرة تتخللها عناصر نباتية مختلفة، وهي ذات مقاسات تقدر بـ(20×20سم) وسمك 1,5سم.

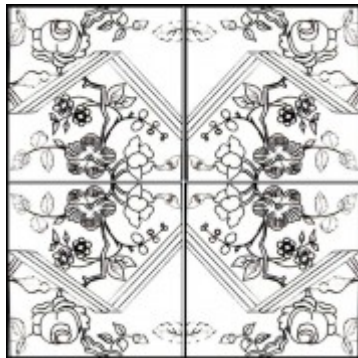
التصميم الأول(الصورة رقم 11): قوامه أشرطة ملتوية مفتولة تلتف على حواف البلاطة، تتخللها أنصاف أزهار رباعية تكتمل بالبلاطات المجاورة، تتوسط التصميم باقة ازهار.



الصورة رقم 11

ويوجد نموذج مطابق لهذا المثال بقصر احمد باي ، غير أن هذه الأخيرة شكلت عناصرها بطريقة مختلفة، حيث يكمن الاختلاف في شكل الباقة التي تتوسط الأشرطة، والألوان التي أصبحت باهتة.

التصميم الثاني: يتألف من بلاطة مفردة متكررة قوام زخارفها شريط منكسر، تقطعه سيقان متفرعة تنتهي بأوراق بسيطة ومسنة صغيرة وكبيرة وبراعم مزهرة وزهيرات خماسية صغيرة وكبيرة، كما تبرز في الجزء العلوي من الشريط زهرة من نوع الورد بنفسجية أو بنية (الصورة رقم 12، الشكل رقم 9) (20).



الشكل رقم 9



الصورة رقم 12

²⁰ - انظر ايضا: BROUSSAUD.G, op-cit, PL.30D

أما التصميم الثالث: عبارة عن تجميعة قوامها شريط مخطط منكسر، على شكل مثلثات دون قاعدة، يلتف حوله بطريقة لولبية ساق نباتي تبرز منه فروع مورقة ملساء ومسننة او مركبة، تتغير العناصر النباتية من بلاطة الى اخرى وهي وبراعم وزهيرات خماسية وجرسية من الحجم الصغير، ووردة (الصورة رقم 13، 14، 15، الشكل رقم 10)⁽²¹⁾.



الصورة رقم 14



الصورة رقم 13



الشكل رقم 10



الصورة رقم 15

وقد تنظم بلاطات هذا التصميم في شكل لوحة من 16 بلاطة لتؤلف تصميمًا مختلفًا، قوامه شريط نجمي من ثمانية رؤوس، تلتف حوله سيقان نباتية، تتفرع عنه باتجاه المركز دوائر من أفرع نباتية مورقة، تحيطها أزهار، و في الأركان يتكرر أرباع العنصر المركزي متصلًا بأرباع دوائر.

التصميم الرابع(الصورة رقم 16، الشكل رقم 11): يشكل أحيانًا موضوعًا زخرفيًا من أربع بلاطات، وأحيانًا أخرى في شكل لوحة جدارية ذات موضوع يختلف عن الأول، يتألف من 16 بلاطة

²¹ - انظر ايضا. BROUSSAUD.G, op-cit , PL.32B

استخدم على شكل حشوات بجدران الغرفة الشرقية ، قوام زخارفه غصن نباتي غليظ ملتوي بطريقة لولبية، تنمو وتلتف حوله فروع نباتية تنتهي بأوراق كبيرة مسننة ومركبة من زهيرات صغيرة رباعية وخماسية ودوائر متصلة ببعضها البعض، أو بأغصان جافة تنتهي الأوراق بأطراف منحنية وملتوية، وهي تشبه كثيرا ريش الطائر، وتلتف حول الغصن أيضا فروع أخرى مزهرة رباعية وسباعية وأزهار الاقحوان من الحجم الكبير.



الشكل رقم 11



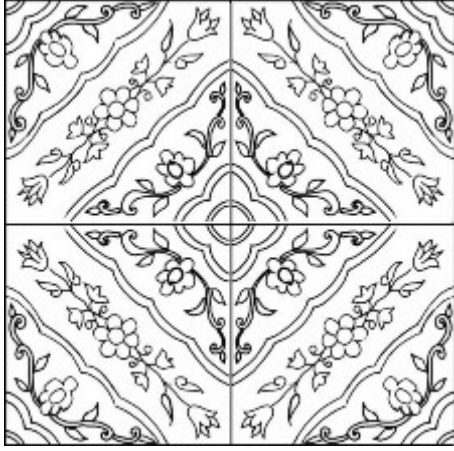
الصورة رقم 16

و تنفرد دار بن جلول بهذا النموذج الأخير دون أن نجد له مثيل في غيرها من معالم مدينة قسنطينة، لكنه يتمثل من حيث الخصائص الصناعية والزخرفية والتشكيلية اللونية مع التصاميم السابقة، والبلاطات الموجودة بدار بن جلول متماثلة من حيث العناصر والمواضيع والأسلوب الصناعي بمجموعة كبيرة بقصر احمد باي ترجع الى القرن التاسع عشر والتي جلبها الحاج احمد باي من مدينة صقلية، إلا أن البلاطات المتواجدة بدار بن جلول تتميز ببريق ألوانها ولمعانها، وأرضيتها البيضاء، بالمقارنة مع بلاطات قصر احمد باي التي تتحول الألوان إلى الشحوب وتصبح الأرضية البيضاء أرضية طباشيرية.

كما يوجد بدار بن جلول تصميم آخر (الصورة رقم 17 الشكل رقم 12) عبارة عن تجميعا من أربع بلاطات، مقاساتها 21×21سم، قوام زخارفها عناصر نباتية وهندسية، على شكل دائرة مركزية يليها مربعات متداخلة، تتوسط الاشرطة زخارف نباتية قوامها سيقان و مراوح نخيلية وبراعم الازهار وازهار متنوعة.

ويتشابه هذا التصميم مع ثلاثة نماذج لها خصائص صناعية وفنية مختلفة، الأول من صناعة اسبانية ونجده بجوسق مئذنة الجامع الكبير بمدينة الجزائر، والثاني من صناعة تونسية نجده بقصر احمد باي، ويتحدث بروسو (BROUSSAUD) عن هذا النموذج التونسي ويقول عنه بأنه تصميم اسباني قلده

التونسيون، وله أمثلة في مئذنة تستور بتونس⁽²²⁾، أما النموذج الثالث فهو من صناعة ايطالية، ونجد له أمثلة بقصر احمد باي، ولا يكمن الاختلاف بين هذه النماذج إلا في بعض التفاصيل الثانوية وتدرج الألوان ودقة ورقة تنفيذ التصميم.



الشكل رقم 12



الصورة رقم 17

خاتمة:

من خلال ما سبق يتضح أن البلاطات الخزفية الإيطالية المدروسة بعنبر مدينة قسنطينة المؤرخة بالقرن الثاني عشر هجري الموافق للقرن الثامن عشر ميلادي، تشهد على ثراء وتنوع زخرفي كبير، وهي تضم نماذج عديدة من حيث تصاميمها الزخرفية، على الرغم من أنها من مصدر صناعي واحد وهو إيطاليا، واستخدام تشكيلة واحدة من الاكاسيد والألوان، كالأزرق والأخضر والبنفسجي والأصفر الذي يتدرج الى البرتقالي، و حددت الزخارف في معظم التصاميم باللون البنفسجي، ما عدا في بعض النماذج التي استخدم فيها اللون البني.

كما احتوت على زخارف الارابيسك والأوراق ذات الافرع الكبيرة اللولبية الممتدة التي تميزت بها مصانع جينوة، والتي اخذتها عن المراكز الصناعية بالبنديقية، بالإضافة الى تأثر بعض التصاميم بأساليب عصر النهضة التي ساد فيها أسلوبا الباروك والركوكو، والاعتماد على عناصر زخرفية تكثرت فيها عناصر قرون الرخا، والعناصر الحلزونية وإنصافها، والأزهار الطبيعية والمركبة والمحورة، والفروع والسيقان النباتية التي تميزت بالإلتواء والإنحناء، والأوراق بأنواعها الطبيعية والمحورة، لاسيما ورقة الاكانتس، وعلى الرغم من تنوع تلك التصاميم وتعددتها إلا أنها متشابهة في كثير من الجوانب، والتي روعي فيها الخلفية الدينية للمجتمعات التي وجهت لها.

²² - انظر ايضا Broussaud.G, op-cit, PL.12D.

وقد تم تقليد التصاميم والعناصر الزخرفية للبلطات الاسبانية لدرجة التطابق حيث يصعب التفرقة بينها، غير ان معظم التعاملات التجارية التي ربطت مدينة قسنطينة كانت ايطالية وبالدرجة الاولى مع مدينة صقلية وجنوة، لكن نحن نعلم ان عدد كبير من الصناع الاسبان وفدوا الى صقلية وانشأوا مصانع لهم، الشئ الذي يجعلنا لا نشك في كونها من صناعة ايطالية.

وفي الختام نقول أن البلطات الخزفية المدروسة تضم عدة نماذج لا نجد لها أمثلة حتى بقصور الدايات والباشاوات بمدينة الجزائر عاصمة الإيالة ودار السلطان، وإن هذا التميز يتماشى ويعبر عن مكانة المدينة كعاصمة إقليمية احتضنت إدارة بايلك الشرق طيلة ثلاثة قرون من الزمن.